آفاق البحث البلاغي الحديث
بين التأصيل الغربي والتأسيس العربي

بقلم
د. محمد الأمين شيخة
قسم اللغة العربية وآدابها - معهد العلوم الآداب واللغات
المركز الجامعي بالوادي - الجزائر

ملخص

إنّ تتبع الحركة النقدية الحديثة يضعنا أمام حالة أو إشكالية الطرح الجمالي الهادف، الذي لا يتحقق في ميدان الإبداع والنقد الأدبي إلاّ بالجمع بين الجانب الموضوعي والجانب الذوقي الانطباعي معاً، ولا يتسنى الوصول إلى هذا الهدف بالاعتماد على الطرح البلاغي القديم وحده في ظل الحركة النقدية الحديثة ما لم يقترن بالطرح الأسلوبي؛ الذي يجعله الباحثون الوريث الشرعي أو الامتداد الطبيعي لموروث البلاغة القديمة، وبذلك وجب على الناقد الأسلوبي معرفة أصول، وجذور، وإجراءات هذا البحث، وأبرز منابره الغربية متسلحاً بالمعطيات البلاغية الخاصة بلغته وأدبه كي يتسنى له المواءمة النقدية بين الطرحين، ومن ثمة الوصول إلى الهدف الجمالي المتكامل .

Résumé

Cet article vient d'analyser la nature d'une pratique stylistique et causes qui donnent au criticistes la valeur de cette acte moderne du style devant un grand héritage rhétorique (théorique et pratique) ; qui a possédé le mouvement littéraire pendant des siècles dans toutes les lettres et par une démonstration diachronique (écoles / méthodes) ; qui dominent ce temps et leurs projections positives au critique arabe .

مقدمة

إنّ من أهم المسائل المستحدثة التي تطرح في الساحة النقدية العربية إشكالية البحث البلاغي الحديث وقدرته على مقاربة النص الأدبي العربي الحديث، بما ينطوي عليه من خصائص أسلوبية فارقة، تجعل من جسده الشكلي بُؤرة البحث الأدبي الخالص لذاته، رغم الخصوصية الفنية لطبيعة و أبعاد هذا النص على مرّ العصور، وعبر ذلك الزخم من ركام المناهج السياقية، التي باشرت بصور مختلفة إجراءاتها النقدية لأغراض وغايات عدّة، ابتعدت في جلّها ـ حسب رأي بعض المحدثين العرب ـ عن غايات النقد الجمالية، وعن طبيعة الأدب والإبداع الخاص لذاته .

وفي خضم هذا الإشكال البلاغي، تطرح المناهج الغربية الوافدة بعض الأطروحات النقدية التي تراها ضرورة ملحة، تفرضها المرحلة الإبداعية الراهنة في شكل علوم ومباحث وآليات نقدية فاعلة، من شأنها تصحيح مسار النقد الأدبي الغربي، وإعطاؤه شيئا من الموضوعية والشرعية البعيدة عن الطرح والتفسير الذاتي و الكلاسيكي للعملية النقدية برمتها. ومن أهم هذه الأطروحات مجال البحث البلاغي الحديث؛ أو ما يسمى بالبحث الأسلوبي، (stylistique) وذلك بالاعتماد شبه الكلي على لبّ ومحور الإبداع الفني المتمثل في الأسلوب(style) أساسا ومقومًا بارزًا وفارقا لكل عمل إبداعي جديد، وبحكم فعل السُّنن الكونية التي تحمل في بعض مظاهرها البشر على الاطلاع والتأثر بالغير، وبأفكاره وسلوكياته قصد الاستفادة من تجاربه وخبراته. كان للعرب المحدثين الفرصة والمجال للتطلع على هذا البحث الغربي الجديد من نهاية سبعينيات وبداية ثمانينيات القرن الماضي [1]، وعلى يد طائفة من المهتمين بهذا الميدان، كمرحلة تعريفية وتوفيقية مع البلاغة القديمة، من أمثال الباحثين: صلاح فضل، وعبد السلام المسدي، وشكري عياد، ومحمد الهادي الطرابلسي ....ثم مرحلة أخرى إجرائية وتصنيفية على يد هؤلاء السابقين، وثلة من بعدهم، ومنهم: كمال أبو ديب، وسعد مصلوح، ومحمد السعران وأحمد درويش، وعبد المالك مرتاض... [2].

مخاض البحث البلاغي/الأسلوبي :

ظل مبحث الأسلوب عند الغربيين والعرب، ومنذ عقود، مرتبطا بالبلاغة القديمة، فكان بمثابة البذور التي تتطلب الرعاية والعناية ليبرز من خلال هذه البلاغة العتيدة التي سيطرت على الفكر النقدي مدّة طويلة من الزمن، إلى أن حلّ عصر علم اللغة أو اللسانيات الحديثة (linguistique) في بداية عشرينيات القرن الماضي، والتي كان لها الفضل في رعاية النقد الأدبي. فأمدته بكل أسباب البحث الموضوعي في مقاربة النصوص الأدبية، ويبدو أنّ علماء اللغة والنقاد المحدثين قد نفروا من إغراق الدراسات الأدبية في الذاتية المفرطة والتخلي عن الموضوعية والمنهجية، فكان رد فعلهم حادًا تجاه المناهج التاريخية والنفسية والاجتماعية،التي تجعل من تاريخ الأدب مادة لمقاربتها أكثر من معالجتها للنصوص الأدبية [3]، وبذلك انصب علم اللغة في مجال البحث البلاغي على مدِّ مفهوم ومبحث الأسلوب بأسباب الحيوية والانبعاث، حتى غدا البحث الأسلوبي مبحثا من علم اللغة، أو كما يرى أحد الباحثين الغربيين(رينيه ويليك) أنّ البحث الأسلوبي ينبغي أن يكون فرعًا من علم اللغة،وأنّ أي تحليل لساني سيتحول بالضرورة إلى تحليل للأسلوب [4]، مما أثر سلبًا على الأطروحات التي قدمتها البلاغة القديمة، فنزعت إلى التراجع، ومن ثمة إلى الأفول أمام زحف وانتشار مفاهيم ومعطيات البحث الأسلوبي (البلاغي الحديث)، ليساير المرحلة الجديدة بكل ما تحمله من تحولات جذرية في بنيات النص الحديث وأبعاده الجمالية.

لم يكن هذا الانتقال من مرحلة أو طور البلاغة إلى طور الأسلوبية يَسيرًا، بل واجه فيه هذا البحث الجديد، ومنذ بدايات ظهوره الأولى، عدّة عقبات ؛أهمها مزاحمته لبعض التيارات والمناهج والمفاهيم النقدية كالشعرية، والبنائية، والفيلولوجيا...وغيرها مما أدى إلى احتكاكه بها، أو احتوائه فيها أحيانا. ويمكننا أن نمثل لهذه المرحلة في صورة الشمس التي تتوالى وتتعاقب عليها الغيوم في السماء، فتضيء أحيانا وتحجب حينا آخر، إلى حدِّ أن أقر الغربيون أنفسهم بموتها في ستينيات القرن الماضي، وعلى رأسهم النقاد: (بيار جيرو)، و(ميشال آريفي) و(جورج مولينيه)... وغيرهم من أمثال السميائيين كـ(غريماس)، والجماليين

كـ(كروتشيه). ولا يمكننا في هذا الصدد، إلا أن نقرّ مع من أجمعوا ـ وهم كُثر ـ بشرعية هذا البحث وجدواه في مقاربة النصوص الحديثة، وخاصة التي تجمح عن أدوات البلاغة القديمة وإجراءاتها،أمّا من لم يقرَّ بشرعية هذا البحث، فمرده في ذلك إلى صعوبة تحديد المعالم والأطر و الحدود الحقيقية لهذا المجال الحيوي، رغم الاعتقاد الجازم بوجوده، فمنهم من يعامله على أنّه منهج خاص في النقد الأدبي، وآخر على أنّه مجال في البحث البلاغي، وآخرون على أنّه علم قائم بذاته (5)، وفي كل ذلك تتعدد المدارس، وتختلف الاتجاهات والإجراءات النقدية التي تسعى جاهدة عبر تنظيراتها وتطبيقاتها إلى حصر مجال البحث الأسلوبي، وضبط آلياته الكفيلة بحصره وتقييده وتذليله للنقاد والباحثين. ورغم ما قُدم من جهد في هذا السبيل يظل البحث (البلاغي/ الأسلوبي) قاصرا على الإلمام بشتات هذا العلم الواسع والواعد، كما يظل عاجزا على المقاربة الشاملة والموضوعية للنص الأدبي الحديث الذي يسير وفق تحولات جذرية بخطى سريعة .

تطور البحث البلاغي /الأسلوبي:

إنّ تتبع تاريخ البحث البلاغي الحديث كمجال حيوي، ساهم في إثراء البحث النقدي واللغوي، يحيلنا بالضرورة إلى جهود علماء الغرب في بعث البلاغة القديمة بثوب جديد، وتحت اسم علم حديث؛ وهو (الأسلوبية) ؛ ذلك العلم الذي تبلور من خلال مراحل زمنية متلاحقة، وعلى يد رواد كبار ساهموا في دفع هذا النوع من البحث اللغوي إلى جادة الطريق، متطلعين إلى مستقبل زاهر حتى قبل الهزة ألتي أحدثتها اللسانيات الحديثة في أوروبا. إذ يُعد مؤلف (دروس في اللسانيات العامة) سنة 1916 م لصاحبه (فردينالد دوسوسير)، وجهود الأديب والناقد الروسي (فلاديمير بروب) في دراسته (مرفولوجيا الحكاية الشعبية) سنة 1929 م، ومن بعدهما أعمال الفيلسوف الغربي (كلود ليفي ستراوش) في البنيوية الاجتماعية، وما تلا ذلك من جهود فردية بارزة بمثابة الركائز الأولى في انبثاق الفكر الأسلوبي الحديث للبلاغة القديمة[6]. وقد أسهمت فيما بعد التيارات والمدارس النقدية الأوروبية والأمريكية، ابتداء من مدرسة (براغ) الفونولوجية، ومدرسة (كوبنهاجن) الشكلية، والمدرسة الوظيفية الفرنسية، ومثيلتها الاجتماعية الإنجليزية ....، إلى بقية المدارس الأمريكية من بنيوية وتوزيعية سلوكية و توليدية

تحويلية في إفادة البحث البلاغي الحديث بإجراءات وآليات نقدية موضوعية جديدة [7]، ومن ثمة إلى إرساء دعائم البحث النقدي اللغوي، الذي يسعى في كل ذلك إلى فحص الأسلوب وعزل خصائصه الفنية الفارقة، قصد بلوغ استقلالية البحث الأدبي عن بقية النشاطات الفنية الموازية أو المحاكية له .

وبالعودة إلى تاريخ البحث الأسلوبي الحديث، سجل معظم الباحثين في هذا المجال، أنّ أول من أطلق مصطلح (الأسلوبية) في أوروبا على دراسة الأسلوب الأدبي دراسة موضوعية، هو العالم والناقد الغربي (فون درجبلنتش) سنة 1875 م؛ أي في نهاية القرن التاسع عشر [8]، رغم أن اللغوي الفرنسي (بيارجيرو) يشير في كتابه الموسوم بـ(الأسلوبية) أنّ أول من استخدم هذا المصطلح هو (نوفاليس) [9]. وقد ألمح من قبل الراهب (الكونت دي بوفون) 1707 ـ 1788 م إلى أهمية دراسة الأسلوب دراسة آنية بعيدة عن مقاييس البلاغة وقوانينها الجاهزة، وأصدر مقالا هاما أورد فيه مقولته الشهيرة " الأسلوب من الرجل نفسه " مشيرا في ذلك إلى ضرورة الاهتمام باللغة الشخصية للكاتب في صياغتها وفق أفكاره. ثم تلت هذه المنطلقات الفكرية الحاسمة بحوث جادة لعلماء اللغة، من أمثال (سوسير) ؛ الذي فهم الأسلوب على أنّه (الكلام) أو اللغة المنجزة فعلا (PAROLE)، كما فهم من بعده السميائيون؛ وعلى رأسهم (غريماس) بأنّ الأسلوبية وعلم الدلالة ليسا إلا مظهرين لوصف واحد [10]، رغم أنّ الناقد (ستيفن أولمان) يلح في كتاب(الأسلوبية وعلم الدلالة) إلى استقلال الأسلوبية عن علم الدلالة، ومن ثمة عن اللسانيات على اعتبار الاختلاف بينهما في تناول الأولى للمعنى التعبيري، أمّا الثانية فالمعنى المعرفي [11]. ويلخص الناقد الغربي(جيرار جنجمبر) أنّ الأسلوبية المعاصرة تقدم نفسها على أنّها مَطمح وهدف علمي، يحيل على السمّة الفردية لمدرسة أو جنس في استعمال اللغة [12].

تعتبر جلّ المصادر الغربية أنّ مؤسس علم الأسلوب الحديث هو الناقد السويسري(شارل بالي 1865 ـ 1947 م) في كتابه عن الأسلوبية الفرنسية (TRAITE DE STYLISTIQUE FRANCAISE) سنة 1925م، والذي يرى فيه أنّ الاهتمام يجب أن ينصب على اللغة فقط باعتبارها وسيلة بين جماعة اجتماعية، وهي تبتعد أو تقصي السلوكيات الشخصية لصاحبها وأعقبه بكتابه (اللغة والحياة – LE

LANGUAGE ET LA VIE) سنة 1925 م، ففتح به الباب واسعا إلى السلوكيات والعواطف الشخصية للكاتب وأسلوبه [13]، ومنه انبثقت الدراسات الأسلوبية المهتمة بالأدب لذاته، إذ تضاعفت الدراسات في ستينيات القرن الماضي، وازداد اللسانيون اطمئنانا إلى ثراء البحوث الأسلوبية، عندما أصدر الناقد الغربي(تازفتان تودوروف) سنة 1965م أعمال الشكلانيين الروس مترجمة إلى اللغة الفرنسية [14].

وهكذا ينشأ البحث الأسلوبي على أنقاض العصر البلاغي المترهل، ويرتحل هذا البحث من ألمانيا إلى إنجلترا وفرنسا ....ليعمر نحو ستين عاما [15]، فمن فترة ازدهاره وثرائه بين سنوات (1950 ـ 1960 م)، بفضل جهود علماء اللغة والأسلوب من أمثال : رومان ياكبسون، وميشال ريفاتير، وتازفتان تودوروف، ثم فترة الخفوت بين سنوات (1968 ـ 1975 م)، حتى ظن النقاد واللغويون أنّه قد زال من الوجود بسبب مزاحمة مباحث نقدية موازية، وتداخله بها مدّة خمس عشرة سنة من التحليل، فمر هذا البحث بين إجراءات النقد الأدبي ومناهجه الحديثة من سيميائية، وتأويلية، وتفكيكية، وتحليل الخطاب [16]...، ثم بدأ شيئا فشيئا بالبروز من جديد بتأثير وتراكم الدراسات الحديثة المنافسة لها، وخفوتها شيئا ما فاسحة المجال أمام الطرح والمعالجة الأسلوبية الحديثة. ويعود الفضل في اتضاح ملامح هذا الطرح إلى المدرسة الفرنسية بلا منازع، أين اتخذ البحث الأسلوبي فيها وفي تطوره منحيين وهما : [17]

أولهما: منحى القاعدة العلمية (المنهجية البنائية)

ثانيهما: منحى الاستقلال في إطار علمي متكامل(علم الأسلوب)

ففي المنحى الأول، اقترب البحث الأسلوبي من الطبيعة العلمية التي ميزت جلّ العلوم السائدة آنذاك، وحاز على اهتمام اللغويين قبل دارسي الأدب. وفي المنحى الثاني، أضاف البحث الأسلوبي، إلى جانب الموضوعية العلمية، جماليات تتصل بالصياغة الفنية، والفكرة الشخصية والعاطفة الصادقة، والخيال الجامح. وبذلك استطاع هذا البحث أن يجمع بين المنحيين ويوازن بينهما. ومع ذلك يظل البحث الأسلوبي علما هائما لدى بعض التيارات النقدية، في ظل مجاورته للنقد من جهة، ولعلم الجمال (البيوطيقا) من جهة أخرى، رغم النداءات المتكررة

لبعض رموز هذا البحث؛ ومنهم الناقد الأسلوبي، وتلميذ شارل بالي (جول ماروزو) في أحقية الدرس الأسلوبي الحديث، وفي وجوده كعلم ضمن المباحث اللسانية العامة، ودعوة ومباركة الناقد الغربي (ستيفن أولمان) إلى قيام هذا البحث واستقراره علما لسانيا ونقديا سنة 1969 م،في ظل أزمته بين الموضوعية اللسانية والنسبية في الاستقراء، وجهود النقاد الآخرين في إشهار هذا البحث من خلال التنظير والتطبيق كدأب الناقد (ف. ديلوفر) في كتابه(الأسلوبية، والإنشائية في فرنسا) سنة 1970 م، والذي حاول إعطاء صبغة الشرعية العلمية للبحوث الأسلوبية كما دعا إلى التوسط بين العقلانية المنهجية في العلوم الوضعية، وعفوية الاستقراء في العلوم الإنشائية [18].

ويظل البحث الأسلوبي رغم ذلك، وفي آخر المطاف، منهجا وعلما لا ينظر إلى مادة المحتوى بل إلى مادة التعبير، مثل الحروف المكتوبة والأصوات، فهو يهتم بشكل المحتوى، ويقوم على رصد أماكن الحجاج (ARGUMENTATION) في الصور، والمفردات، والتوزيعات والتركيبات للوصول إلى خاصيته الأدبية، وهو بذلك يستوي على مادتين [19]:

ـ الممارسة العلمية التطبيقية، ويتم بها تحليل النص الأدبي بإعادة إنتاجه، ثم تلقيه لإبراز الوظيفة الجمالية.

ـ تفكيك الأدوات التي تعمل الوظيفة الجمالية من خلالها في النص الأدبي، وهي الحروف والأصوات....وغيرها.

إنّ الممارسة العلمية النقدية في ظل البحث الأسلوبي، لهي دليل على شرعية وجود هذا العلم الوليد والوريث رغم ما لاقاه من صعوبات في مسيرته. ولا يمكننا الادعاء بأنّ اعتماده على بعض المعطيات اللغوية والمستويات اللسانية، لهو إفقارٌ له أونفي لكيانه، بل يجب تكريس ذلك المفهوم الذي يؤمن بتكامل المناهج والعلوم وتظافرها في حل جميع الإشكالات الإنسانية والفنية.

منابر البحث البلاغي/الأسلوبي:

يمثل البحث الأسلوبي في التنظيرات الغربية جسرا يربط اللسانيات بالنقد الأدبي، وكأنه تعبيد لطريق عتيق، شقه البحث البلاغي للوصول إلى البحث

الأسلوبي، فإذا كانت البلاغة القديمة هي أسلوبية القدامى، فإن الأسلوبية هي بلاغة حديثة تحت شكلها المزدوج : علم للتعبير، ونقد للأساليب الفردية. وعليه، فالأسلوبية هي الوريث الشرعي والمباشر للبلاغة [20]، وبما أنّ للبلاغة القديمة منابر ومدارس غربية كرست جهودها للبحث والتنقيب والدرس قصد الدعوة إلى تكريس هذا المبحث وتأسيسه على قواعد صلبة، فإنّ منظري ومؤسسي البحث الأسلوبي لم يدّخروا جهدا في وضع مدارس ومنابر لهذا العلم الوريث، فكان الغربيون، وعلى رأسهم نقاد أوروبا، من رواد هذا السبق في التفكير الجدي لتأسيس مدارس فاعلة، تتولى إشاعة هذا الفكر الجديد في أوساط النقاد بأرجاء العالم،وهو ما شجع نقادنا العرب المحدثين إلى ضرورة الاطلاع والاستفادة من هذه التجربة النقدية الجديدة، فكانت منطلقاتهم النظرية تستقي من معين الجهد الغربي، ليتحول فيما بعد إلى جهد تطبيقي يسعى إلى مقاربة نقدية تجاوز بين الطرح البلاغي القديم، وما يميزه من خصوصيات لغوية وفكرية، والطرح الغربي الحديث و ما يمتاز به من جرأة وموضوعية، وهو ما أدى إلى ظهور وانبثاق اتجاهين أو مدرستين عربيتين في مجال البحث الأسلوبي العربي الحديث، من بداية سبعينيات القرن الماضي؛ المدرسة الأولى هي المدرسة المغربية بقيادة الدكتور عبد السلام المسدي؛ وتضم طائفة من أبرز النقاد اللغويين المغاربة من أمثال الدكاترة: محمد مفتاح، وسعيد يقطن، ومحمد العمري، وعبد المالك مرتاض ...، وهي مدرسة يغلب عليها التطبيق الأسلوبي التجريدي للنص الأدبي العربي. أمّا المدرسة الثانية؛ فهي المدرسة المشرقية بقيادة الدكتور صلاح فضل، وتضم كذلك طائفة من أبرز الأسلوبيين المشارقة من أمثال الدكاترة : محمد عزام، ومحمد عبد المطلب، وأحمد دروش، ورجاء عيد، وكمال أبي ديب، ومحمد عبد الله الغدامي وغيرهم...، وهي مدرسة تنزع إلى التطبيق الأسلوبي التكويني الذي يوائم بين معطيات البلاغة وإجراءات علم الأسلوب الحديث، رغم أنّ بعض الدراسات المشرقية كدراسات كمال أبي ديب نزعت إلى التجريد الذي ميز المدرسة المغربية، و بذلك نرى أن جلّ النقاد العرب المحدثين والمولعين بالطرح الغربي للبحث الأسلوبي من المدرستين يرون أنّ أهم المدارس أو الاتجاهات الأسلوبية الغربية الفاعلة في الساحة النقدية المعاصرة، والتي أفادت ومازالت

تـفيد البحث الأسـلوبي العربي بشتى المناهج والإجراءات والآليات النقدية التي نوعوا فيها وصنفوا للقارئ العربي دراسات مختلفة تصب كلها في ثلاثة اتجاهات أو مدارس رئيسة، وهي:[21]

مدرسة البحث الأسلوبي التعبيري:يمثل هذا الاتجاه الناقد والعالم اللغوي السويسري (شارل بالي 1865 ـ1947 م)، وهو واضع ومؤسس علم الأسلوب في أوروبا، إذ تتلخص رؤيته في وظيفة هذا البحث الجديد بتناوله لقضايا التعبير اللغوي المختلفة عن قضايا الإحساس وتبادل التأثير بين الإحساس والكلام، وهو بالتحديد دراسة وقائع التعبير اللغوي من جهة مضامينها الوجدانية أي «فحص تعبير الوقائع للحساسية المعبر عنها لغويا،كما تدرس فعل الوقائع اللغوية على الحساسية» [22]. وجاء من بعده تلاميذه من أمثال : (مارسيل كريسو) و(جول ماروزو) من الذين دفعوا بهذا الاتجاه إلى الظهور والانتشار في فرنسا وأوروبا رغم الفروق البسيطة بين آرائهم وآراء أستاذهم (بالي)،وبخاصة عند محاولة هؤلاء تعميم هذا البحث على النصوص ذات الطابع الأدبي الخالص، ومن دون أن يقصر ميدانه في اللغة اليومية أو المحكية [23]. ولقد أحدثت كتابات بالي وتلاميذه تاثيرات واسعة منذ 1909م، ولاسيما في المدارس الأسلوبية التي جاءت بعد هذا الاتجاه، ومن هؤلاء، الشكلانيون الروس، ثم انتقل أثرها إلى أوروبا، واشتهرت بمفاهيم عدّة أشهرها: الأسلوبية الوصفية [24].

مدرسة البحث الأسلوبي الفردي :يمثل هذا الاتجاه اللغوي النمساوي (ليو سبتزرـ 1887 ـ1960) الذي أضاف على فكر (بالي) ضرورة التركيز أثناء البحث الأسلوبي على جانب الأحاسيس وجانب الفكر معاً. وحدد الأسلوب بعدوله عن المعيار السائد في المرحلة الزمنية المعينة، وبذلك كان الاهتمام الأول والأخير عنده بصاحب النص وانطباعه النفسي[25]. فيرصد (سبتزر) علاقات التعبير بالمؤلف لتدخل من خلال هذه العلاقة في بحث الأسباب التي يتوجه بموجبها الأسلوب وجهة خاصة في ضوء العلاقات بين المؤلف ونصه الأدبي. بل «إنّ أسلوبية سبتزر تبحث عن روح المؤلف في لغته، ومن هنا اتسمت أسلوبيته بالمزج بين ما هو نفسي وما هو لساني» [26].

مدرسة البحث الأسلوبي البنيوي: يمثل هذا الاتجاه اللغوي الأمريكي (ميشال ريفاتير) الذي اهتم بالدراسات الأسلوبية البنائية، كبحث جدي وموضوعي، لإبراز شعريات النصوص الأدبية، وكان تركيز الدراسة في هذا المضمار منصبًا على إبراز دور القارئ المتميز في فهم طبيعة التحليل، وكشف السمات الأسلوبية الشكلية كشفًا تامًا عبر إجراءات لسانية ورياضية صارمة، وبذلك تغدو الأسلوبية في نظر هؤلاء « لسانيات تعنى بظاهرة حمل الذهن على فهم معين وإدراك مخصص » (27).

ولقد لاقى هذا الاتجاه الصَّدى الواسع في جل الدراسات الأسلوبية العربية الحديثة، ومن قبل طائفة من النقاد المغاربة والمشارقة على حد سواء، لما يتميز به من جرأة وموضوعية في الطرح، ولعل أهم هذه النماذج ما قدمه الدكتور عبد السلام المسدي، عندما عرض لكتاب (ريفاتير) بعنوان (محاولات في الأسلوبية البنيوية)، وللمبادئ البنيوية للأسلوب، وكذا كتاب (نظرية البنائية في النقد الأدبي) للدكتور صلاح فضل؛ الذي تتبع فيه أصول هذه النظرية ورصد تطورها واختلاف تياراتها، وكتاب آخر للدكتور سعد مصلوح بعنوان (الأسلوب) لخص فيه علاقة الأسلوبية بالبنيوية، فأشار إلى أنّ الدراسات اللغوية المعاصرة نشأت تحت تأثير فكرة أساسية هي البنيوية (structuralisme)، «وهي ذات طابع موضوعي، تنظر إلى العمل الأدبي باعتباره رسالة لغوية» (28).

الخاتمة

وبعد هذا المسار الشاق الذي قطعه البحث الأسلوبي الحديث، قصد اعتلاء عرش البحوث الجمالية، واستيعاب ما أمكنه من أعمال إبداعية قد تعجز عن احتوائها التقاليد البلاغية القديمة، فهل من الواجب عليه ترك الساحة النقدية أمام التيارات والمناهج المستقبلية، في ظل مفاهيم التداولية ونظريات القراءة والاكتفاء بما قدمه هذا البحث للنقد الأدبي / اللغوي من خدمات جليلة حتى يَحُل عليه ما حلَّ للبلاغة من قبل، وبذلك يخلد إلى الراحة والاطمئنان والشعور بالرضا لما قدمه ؟، أو هل ينزع إلى فتح جبهات نقدية أخرى وميادين إبداعية مختلفة كي يضمن لنفسه الاستمرارية والفعالية، في ظل هذه الدراسات النقدية واللغوية المتراكمة، والتي وإن حادت بعضها عن النهج الأسلوبي، فهي كثيرا ما تتمسح به وتحيل إليه ولو من بعيد، ويبدو أنّ المستقبل القريب كفيل بالإجابة عن هذا

الانشغال في ظل هذا الحراك النقدي المحتدم بين التيارات الفاعلة، وتحت غطاء جدلية التأصيل والتجديد .

ـ الهوامش:

1. ينظر: بشرى موسى الحاج: المنهج الأسلوبي في النقد العربي الحديث،(مقال) علامات، ج 40، مج1، نادي جدة الأدبي الثقافي، السعودية، سنة 2001 م، ص 282 .
2. ينظر: المرجع نفسه، ص 291 .
3. ينظر: عدنان حسين قاسم، الاتجاه الأسلوبي البنيوي نقد الشعر العربي، مؤسسة علوم القرآن، دار ابن كثير، ط 1، عجمان / دمشق، الإمارات، سوريا، سنة 1992 م، ص 09 .
4. ينظر: فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر،سنة 2004 م، ص 48 .
5. ينظر : المرجع نفسه، ص 49 ـ 52 .
6. ينظر : الشريف ميهوبي، الدراسات اللسانية الحديثة (مقال)، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، ع 06، جامعة باتنة، الجزائر، سنة 2002 م، ص 209.
7. ينظر : المرجع نفسه، ص 210 ـ 212 .
8. ينظر : نور الدين السّد، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج 1، دار هومة،الجزائر، سنة 1997 م، ص 42، نقلا عن : عدنان بن ذريل، اللغة والأسلوب، ص 140 .
9. ينظر: يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، سنة 2007م، ص 75 .

10 . ينظر المرجع نفسه، ص 78 .

11 . ينظر : ستيفن أولمان، الأسلوبية وعلم الدلالة، (ت) محي الدين محسب، دار الهدى للنشر، المنيا، مصر، سنة 2001 م، ص 10 .

12 . ينظر المرجع السابق، ص 83 .

13 . kusher :histoire des poétiques ;IMP:pre:uni. France ;1997 .p424. ، bessier/ E،j

14 . ينظر: بشرى موسى الحاج، المنهج الأسلوبي في النقد العربي الحديث، علامات، ص 284.

15 . ينظر: يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص 79 .

16 . ينظر : عبد الرزاق حسن، في النص الجاهلي، ط1، دار المعالم الثقافية / مؤسسة المختار، مصر / السعودية، سنة 1998 م، ص 19 .

17 . ينظر: جورج مولينيه، الأسلوبية، (ت) بسام بركة، المؤسسة الجامعية، ط1، بيروت، لبنان سنة 1999 م، ص 07 .

18 . ينظر : عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، ط2، تونس، سنة 1982 م، ص 22 ـ 24 .

19 . ينظر: جورج مولينيه، الأسلوبية، (ت) بسام البركة، ص 35 .

20 . ينظر : يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص 84 .

21 . ينظر : المرجع نفسه، ص 86 ـ 92 .

22 . ينظر : نور الدين السدّ، الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، ص16 .

23 . ينظر المرجع نفسه، ص 186 .

24 . ينظر: محمد كريم الكواز، علم الأسلوب، منشورات السابع من آذار، ط 1، سنة 1426 هـ، ليبيا، ص98 .

25 . ينظر : المرجع السابق، ص 187 .

26 . حسن ناظم : البنى الأسلوبية، المركز الثقافي العربي، ط 1، المغرب / لبنان، سنة 2002 م، ص 34 .

27 . عبد السلام المسدي : الأسلوبية والأسلوب، ص 49، نقلا عن : ميشال ريفاتير، محاولات في الأسلوبية البنائية، ص 146 .

28 . عدنان حسين قاسم : الاتجاه الأسلوبي البنيوي في نقد الشعر العربي، ص 73 .